ديزي الأمير

في دوّامة الحبّ والكراهية

دار العودة - بيروت

في دوامة الحب والكراهية

ديزي الأمير

في دوّامة الحبّ والكراهية

دار العودة - بيروت

يطلب في البلاد العربية والعالم العربي من
دار العودة للصحافة والطباعة والنشر
بيروت ــ كورنيش المزرعة عمارة الرفييرا سنتر
تلفون : ٣١٠٨٤٠ ــ ٣١٨١٦٥

الاهداء

الى الاصدقاء رفيق وعبد الله ومختار ، رفاقي في السفارة الذين لولاهم لما حصلت على شمعة او نفط أبدد بهما بعض الظلام، ولما استطعت الوصول الى العمل يوميا لو لم يوفروا لي البنزين والحاجات اليومية لفرد ما زال يعيش بالصدفة .

هؤلاء الذين جازفوا بأرواحهم يفتشون لي في انحاء بيروت عن كل هذا وغيره اليس وجودهم بهذه القابلية على المساعدة دليل على وجود الانسان في لبنان الدمار والخراب ؟

ديزي الامير

مقدمـــة

هذه القصص لا تتحدث عن كل ما حدث في لبنان

هي ليست حرب لبنان الأهلية ولا خرابه ولا قضاياه ولا تياراته السياسية ولا المؤامرات الدولية التي دمرته .

كل ذلك قاله كثيرون وسيقوله كثيرون وستبقى دائما خيوط لم يتحدث ولن يتحدث عنها احد .

ولكن ناحية اخرى اراها مهمة ، قد تبدو صغيرة ولكنها بالنسبة لي كبيرة ، هائلة ، عميقة مفجعة ، فتشت عنها وحاولت الكتابة حولها .

هذه الحقيقة الصغيرة الكبيرة هي انسانية الانسان .

في كل ما حدث هنا ، أين هو الانسان في هذا الخضم من القتال السياسي الحربي العسكري الدولي البشري ؟

أين الانسان السوي ، المحب ، الشهم ، المعطاء، الاجتماعي المتوازن العاطفة ، العاقل ؟

هل لوثت الاحداث هذا الانسان فشوهت فيه كل معاني الانسانية ؟ ام ان البعض لا يزال يصبر وينتظر ويخطط ويعمل بالقلب والعقل معا ؟ أماتت انسانية الفرد في هذا القتال المتلف لكل المعاني الجميلة في الحياة ؟

التقطت بعض لمحات ، بعض لحظات ، بعض شـوارد ، كانت تبدو قبل طبيمية . التقطتها من هنا وهناك ، واكتشفت ان الانسـان الذي مات والانسان الذي لا يزال حيا متساويان في المصـــير .

وكذلك اكتشفت ان الطبيعة ببراكينها وزلازلها واعاصيرها وعواصفها اقل قسوة من غضب وشراسة وسخط وجحـــود الانسـان ، ومع ذلك فلم اياس ، لا يزال هنا انسان يتلهف ، انسـان يريد ان يحب ، انسـانٌ يتمنى لو يتمنى ، انسـان يستطيع ان يمسك باللحظة وينتظر .

والانسان الذي فقد مقدرته على الانتظار والأمل والمحبة يحمل كل هذه المعاني في نفسه لانه يتساءل عن سبب ظهورها .

ايماني بالانسانٌ كبير والمي لضياعــه اكبر ولكني مـــع المنتظرين انتظر وانتظر ولن أهرب من الانتظـــار .

مسرحية أكسير الشباب

كانت الاضواء ترى من بعيد . الوان حمـــراء وخضراء ، وصفراء و . . . و . . . ثابتة ومتقطعة ، تعلن عنوان التمثيلية المزمع عرضها هذه الليلـــة .

وقفت ، أمام باب المسرح ، سيارات فارهة ، وهرع منها السائقون يفتحون الابواب بانحناءات متباينة الخضوع لراكبيها. سيارات صغيرة من كل الاصناف التي تنتجها مصانع العالم بالاحجام المختلفة. ينزل من السيارة عشرة اشخاص او ينزل راكب واحــد فقط .

أصوات اقدام تسمع في الشارع الليلي يأتي أصحابهـــا لمشاهدة مسرحية الموسم .

وامام الباب يقف متسولون من شتى الجنسيات والهيئات يمدون ايديهم يطلبون العون بكل اللغات واللهجات .

واختلطت الاشكال ، نساء عاريات الاذرع يغطيهن الفراء والبعض الاخر مبرقعات من أعلى الرأس الى أخمص القدمين واخريات هبيات منفوشات الشعر لا تكاد تميز ان كن نساء او رجالا بعد ان توحد زي الخنافس بين الجنسين .

ورجال يرتدون كل ازياء العالم من الشورت الى الدشداشة ، ومن القبعة العالية الى البيريه وصلعات رؤوس تلمع لا يغطيها

شيء الا اذا كان الطربوش الاحمر القاني مائلا يغطي احدى الجهتين .

مقاعد محجوزة سلفا واخرى ظن اصحابها انها محجوزة لهم واخرى حجزت الان. وقد يتغير رقم المقعد فيتقدم الى الصفوف الامامية وقد يتأخر حسب مزاج بائع التذاكر .

العاملة ، الواقفة امام مدخل قاعة المسرح ، تبيع الجمهور برنامج التمثيلية بفصولها واسماء ممثليها حسب ظهورهم على المسرح مع موجز لفكرة المسرحية واسم المؤلف والمخرج ومدير الاضاءة ومصمم الديكور ولم يذكر اسم الملقن .

كانت الضوضاء تملأ سماء القاعة وأرضها قبل ان تبـدأ الدقات التقليدية تعلن قرب افتتاح الستارة .

وتطلع الجمهور الى بعضهم البعض ... كانت الدقات طلقات رصاص من مسدسات وبنادق عرف بعض الحضـور انواعها. وتساءل الاخرون عن نوعية الاداةولكن الكل استغرب هذا الابتكار في الدقات . فأداروا رؤوسهم يسألون من حولهم عن السبب فأسكت كل جاره وهو نفسه يتساءل .

اضواء القاعة تنطفيء الواحدة بعد الاخرى والستارة تبتعد بشقيها عن المسرح .

على المسرح غرفة مختبر مملوءة بانابيب تتصل ببعضها او يفصل بينهـا مخبار صغير او كبير . يتنقل بينهم سائل بالوان براقة جذابة سريعة التغير حين انتقالها من مخبار الى انبوب والبخار المتصاعد يتغير لونه . كذلك يتغير مصدر صعوده او مكـان هبوطه .

تسلط الضوء على احد أركان المسرح ليرى المشاهدون رجلا فتيا جذابا يمثل الشباب بكل مظاهره المحببة ، يبتسم والسرور يطفح على وجهه وتبرز اسنانه البيضاء اللامعة المصفوفة . يرفع يدا فتندفع الابخرة الملونة وينزلها فتهبط .

ثم تسلط الضوء على ركن آخر من المسرح حيث تقف عجوز شمطاء . بشرتها المتجعدة تبدو حتى من تحت شعرها الابيض الناشف . فمها المفتوح المهتز يبدو فارغا من الاسنان .

فجاة ، يسطع ضوء على ركن جديد من المسرح ، وفتاة تقف على شرفة تتسلق اليها غصون اشجار، يبدو عبد اسود يمتطي حصانا يرفع سيفا . يقفز من عـــلى ظهر الحصان الى الشجرة يتسلقها .

يقول أحد المشاهدين : هذا ولا شك عنترة بن شداد يريد لقاء عبلة فيجيبه جاره : هذه جولييت تنتظر موعد حبيبها روميو يقول ثالث : ولكن هذا ليس في برنامج التمثيلية . ويسكت الثلاثة حين يشاهدون عنتر يرفع سيفه يبتر به يد جولييت سرقت قلبي وهذا عقاب السرقة .

يمد الطبيب الشاب مدير المختبر اصبعا نحو العجوز فتسقط ذراع جولييت والدماء تسيل منها .

يقول مشاهد : لماذا يحشرون هذه المشاهد ؟

فيرتسم نفس السؤال على وجوه كثيرة ولكنها لا تجيب .

يظهر قبر على المسرح ويقترب رجل وهو ينادي. .. ليلى . . ليلى وينفتح القبر فتخرج فتاة مخنوقة بمنديل حريري تسحب بمنديلها الرجل وتدخله معها الى القبر .

يقول مشاهد : هذا مجنون ليلى ما الذي جاء به الى ديدمونة المخنوقة ؟ يجيبه جاره : اظنهم اخطأوا في طبع البرنامج ..

الطبيب الشاب يضيف سائلا احمر على آخر اخضر .

على المسرح يبدو رجل روماني وهو يصرخ انطونيو . . انطونيو اين انت يا انطونيو .

يتساءل مشاهد : انه هو انطونيو لم لا ينادي على كيلوباترا؟

تخرج فتاة بدوية فيصرخ فيها : عزه ! ابتعدي يا عزه عني انت من دين غير ديني لا يمكن ان اتزوجك . ويهجم حراس فراعنه حاملين حيات يلفونها على عنق الاثنين .

الشاب ، مدير المختبر، يبدو الارتباك على وجهه وهو يحاول خلط سائل الانابيب فتتحول الانابيب الى حيات تتلوى بين يديه وصوت فحيحها يملأ قاعة المسرح . يخرج الملقن رأسه هاتفا بكلام لا يسمعه الجمهور فتعلو الاصوات : ماذا يقول الملقن ؟ ما الذي يجري على المسرح ؟ هذه ليست المسرحية التي ننتظر !

فينظر مدير المختبر الى الحضور يتوسل طالبا اليهم السكوت ويداه ترتجفان . .

يصعد رجل الى المسرح يحمل آلة تسجيل طالبا من المدير تسجيل صوت حركات عينيه فيرميه احد الحضور بسكين تخترق بطنه .

تنتقل بين الحضور موزعة البرامج راكبة دبابة تنطلق منها النيران . يهرب بعض الحضور الى الباب المغلق ويبقى البعض فزعا واخرون يسحبون انواعا من السلاح من جيوبهم يرمونها في الهواء فترتفع الرؤوس تشاهد مصابيح القاعة تضاء حين تصلها الطلقات .

مدير المختبر الشاب ترتجف ركبتاه والسوائل الملونة تنسكب على المسرح وتسيل الى القاعة فتحرق ما تصل اليه ويهب الحضور من على مقاعدهم قافزين في الهواء .

يدخل بائع سلاح ينادي على صحف للبيع فتبدو على المسرح باخرة مكتوب عليها محروقات يهجم اليها الحضور ولكنها سرعان ما تختفي فجأة كما بدت فجأة .

يصرخ الطبيب مدير المختبر : ساعقد مؤتمرا صحفيا اشرح فيه كل شيء ساشرح كل شيء، الذنب ذنب الملقن، غير الحوار الذي تمرنا عليه شهورا .

فيصرخ الملقن من قبوه : الذنب ذنب مصمم الديكور الذي غير المشاهد .

يقف مصمم الديكور زاعقا : مهندس الاضاءة سلط الاضواء على اناس وحجبها عن آخرين .

مهندس الاضاءة يقاطعه : مصمم الازياء هو المجرم الاكبر البس الناس ثيابا ليست لهم .

مصمم الازياء يشد شعره بكلتا يديه متوسلا للجمهور ان يصغي اليه ، فيهجم الجمهور ناتفا ما تبقى من شعره .

سيل الممثلين يركضون على المسرح عراة الا من لحى وشعر كثيف والاسلحة تعانق اكتافهم .

يصرخ صوت : لتعقد هدنة نتحاور فيها لنتفاهم عما يحدث هنا . الحوار هو اساس اللقـــاء .

تنطفأ كل انوار المسرح وتلمع في الجو اصوات المتفجرات والصواريخ وصوت اطفال ينادي : هاتوا المخرج . أين هو المخـــرج ؟

صوت دقات المسرح التقليدية تعلو وتعلو وتسقط الستارة . يرفع الحضور شموعهم وقناديلهم النفطية ذات البطاريـــات يسلطونها على المسرح .

مدير المختبر يقف امام الستارة المسدلة يبكي بصوت متحشرج دموعه تنسكب على وجهه المملوء تجاعيد وتسيل على لحيته البيضـــاء .

يحرك شفتيه محاولا الكلام فيخرج اللعاب من فم لا اسنان فيه وتصطك مفاصل المدير الشيخ العجوز .

القمر المسروق

قالوا ان الكهرباء ستمر على منطقتنا هذه الليلة لمدة ست ساعات

هذا ما قالته الاذاعات اللبنانية ، وقالته الصحف التي لا تزال تصـــدر .

وقال الناس انهم سمعوا ذلك من مصادر اصيلة . من هي المصادر الاصيلة ؟ سؤال لا يمكن ان يعين جوابه . من مصدر الاصالة ؟ الناس ؟ من هم الناس ؟ أهم المسؤولون ؟ من هم المسؤولون ؟ أهي اشاعات ، أين هي الحقيقة .

عدت أحدق في الصحف . فاذا بها تؤكد ذلك ، ولكن الشكوك عاودتني . فكم مرة قيل ان الكهرباء ستزورنا ، ولم تأت . كنا نظنها تصل احيانا الى البناية المجاورة ، أو الى احد بيوت تلك البناية ، ثم اكتشفنا ان البيت المضاء سرق ضوءا مـــن الخط الكهربائي العام .

لم أكن ادري قبل اليوم ان الضوء يسرق ، ثم اكتشفت ان السرقة هي اكبر حقيقة هنا .

مررت بابرة الترانزستور على كل المحطات التي تبث من لبنان فقالت ان الكهرباء ستمر علينا الليلة ، ومع ذلك فانـــا لا اصدق ، ومن أين يأتي اليقين ؟ من اين تأتي الحقيقة . كل

ما حولي مجموعة اكاذيب ؟

بعد غياب اثنين وثلاثين يوما كاملا، بساعات اليوم ودقائقه وثوانيه ، غابت عنا الكهرباء . لقد نسيت ما معنى ان اضغط على زر فيضاء المكان . نسيت ان هناك ثلاجة تبرد . نسيت ان هناك ماء يصعد الى الطوابق العليا بتأمين الكهرباء . ونسيت .. ونسيت .. ونسيت ، وكان الافضل ان انسى مذكريات وجود كهرباء وحقيقة الحرمان من الكهرباء قاسية تعودنا عليها .

كل ما حولي مؤلم جاحد مفترس ، فماذا جرى الليلة حتى تعود الكهرباء لتذكرنا بها . لتذكرنا بأننا في اواخر القرن العشرين وفي بيروت عاصمة لبنان بلد الاشعاع والنور .

طالما قرأنا عن امكانية عودة الكهرباء . قيل ان مادة « الفيول اويل » ستستورد من رومانيا ... لا انها ستصل من منطقة « الزهراني » جنوب لبنان .... لا ان خطوطا كهربائية ستمد من صيدا . هناك امكانية شراء محول كهرباء يضيء شقة كاملة ، ولكن المحرك لا يباع الا لاناس خاصين يستطيعون توفير محروقات لعمله ، وتلك المحروقات لا تحصل عليها الا فئة خاصة . وكذلك لا يستطيع الاحتفاظ بهذا المحول الا الفئة الخاصة التي يخافها المسلحون المستعدون لسرقة كل شيء .

وحاولت ان استفهم واتأكد ، ولكن البناية التي أسكن فيها شبه خالية . تركها السكان الى خارج لبنان ، او الى اماكن افضل من منطقتنا ، منطقة تنزل القذائف فيها اقل سخطا وتضربها الصواريخ اقل عنفا .

اين هي تلك المنطقة الاكثر رحمة ؟ لا ادري . لعلها غير موجودة ولعل الهاربين اليها ندموا وحاولوا العودة الى منطقتنا فلم يستطيعوا ، أتراهم ماتوا في الطريق ؟ خطفوا حرقوا ، عذبوا .

مالي وكل هذا . ستمر علينا الكهرباء هذه الليلة لست ساعات كاملات الليلة لن أستعين بالفوانيس ؟ الليلة لن أغسل زجاج القناديل . الليلة لن احضر الشموع ! الليلة .. الليلة الليلة ستأتي الكهرباء الينا . ستزورنا الكهرباء بعد غياب اثنين وثلاثين يوما كاملا ، ولطالما امضيت تلك الليالي ساهرة محدقة في العتمة انتظر بزوغ الشمس لاطمئن الى طلوع الصباح وانام بعد ذلك لفترة قد تقصر او تقل قصرا نسبة للصواريخ والقذائف التي تنزل على بيتي .

الليلة ستزورني الكهرباء ، الزائرة العزيزة البعيدة المنال التي نسيت ملامحها ستزورني ، سأدير التلفزيون وسيكون هناك صوت بشري غير صوت القذائف والمتفجرات .

كنت في طفولتي اخاف من وحشة الغروب ، والان في لبنان بلد الاشعاع والنور صاحبت العتمة . الشمعة ، اذا امكن الحصول عليها ، تذكرني بالظلام القاتم ، الفانوس يرعبني ان ينفذ نفطه .

الترانزستور . هذه الالة الملعونة احتاج معها لنور كي ادير ابرتها ، لم لم يتذكر مخترعها ان هناك شيئا اسمه ضوء ، فلم يدع بصيصا ولو بسيطا يساعد الابرة على التوقف على محطات الاذاعات ، الم يدري المخترع ان هناك ليالي قاتمات معتمات ستمر على سكان لبنان وهم في اواخر القرن العشرين فيتمنون فيها لو يروا بصيصا من ضوء حتى لو كان صادرا من ترانزستور صغير ، يصرخ ويزعق ويختلط زعاقه مع

الصواريخ ؟ بصيص الضوء ذاك ، لو وجد ، لخفف شيئا مـــن عتمة الليل الطويلة .

ماذا سأفعل اذا جاءت الكهرباء ؟ هل انتظر صعود المـــاء الى طابقي ؟ الماء يأتي بعض الايام صباحا فلن يصعد الماء الي اذا جاءت الكهرباء ليلا .

هل ادير آلة غسيل الثياب ؟ من أين والماء يأتـــي بتعبئتـــه بالاواني وحمله الى الطابق الاعلى .

هل اذير الثلاجة ؟ اتراها تعمل بعد ان خنقت اثنين وثلاثين يومـــا ؟

هل اكوي ؟ وأين هي الثياب المغسولة لاكويها .

سأدير كل الادوات الكهربائية لاستمتع بصوتها الهادر عله يغطي على صوت المتفجرات والصواريخ ، وصمت الظلام قد ... قد تسقط على البيت قذيفة اثناء مروز الكهرباء علي ! الموت في الضوء أفضل من الموت في الظلمة .

نسيت .. نسيت شيئا . سيصل الليلة التلفون ، ستمتلىء بطاريات التلفون بالكهرباء فاحادث من اشاء ... من اشاء ؟. أين هم الذين اريد مخاطبتهم ؟ دليل بيروت لم يعد دليلا لها ، كل الارقام هجرها اصحابها او هجرتهم هي ، او انتقلت بالسرقة الى بيوت اخرى سرقت خطوط الهاتف واصبحت هذه الالـــة الصغيرة العزيزة خجلة ان تنقلني الى بيت اخر لا اعرفـــه وصوت آخر لا يهمني . سرقوا خطها وتركوا الالة صمـــاء خرساء او ناطقة بصوت غريب .

ماذا افعل اذا جاءت الكهرباء ؟ هل أتناول حبوبا منومـــة

واغفو لاول مرة بعد اثنين وثلاثين يوما والبيت غــير قاس متوحش بعتمته ؟

نظرت الي الساعة ، فلم اتبــين معالمها . اشعلت عــود ثقاب فاذا هي الثامنة . مرت ساعة كاملة على الموعد المنتظر لمجيء الكهرباء ولم تأت حبيبتي المنتظرة .

خذلتني الواعدة وتأخرت ، وتلمست يداي ما احضرته من قناديل فارتطم قنديل على الارض وانكسر زجاجــه ، لا شك ان زجاجه انكسر والا ما هو هذا الصوت ؟تلمست يــدي شمعة اضأتها فاذا الارض يلمـــع عليها مبروش الزجاج . كيف آتي بالمكنسة لاكنس رذاذ الزجاج .

وزاد حسي بالوحدة والتعاسة لو دخلت زجاجة قدمــي، ونزف دمي ، كيف استعين بأحد ليوقف النزيف . كيف اصــل المستشفى ؟ كيف استعين بطبيب ؟ ليس لدي غير مفتـــاح واحد للبيت ولا استطيع الحصول على مفتاح احتياط اضعه لدى الجيران ، فالمفتاح لا تعده غير الكهرباء غير الموجــودة ، لو مت من سيدري انني هنا مرمية ... ولو دروا فما اهميــة ذلــك .

الموت هو الحقيقة الوحيدة هنا ، وهو الحقيقة الوحيدة التي لا اهمية لها .

سيل القذائف والصواريخ لم يتوقف ، والكهرباء لــم تف بوعدها . ركضت الى الحيطان اتأكد أنــي قــد فتحت ازرار الكهرباء ، فاذا بها مع المي مفتوحة كلها مستعدة للقاء حبيبهــا الذي خان الموعد ولم يأت بعد .

اثنان وثلاثون ليلة امضيتها بالعتمة ، الا اذا تيسر لـــــي قنينة ، او فنجان من النفط فما لي الليلة لا اتحمل هذا الانتظار؟ لم اخاف الليلة من سرقة البيت؟ لم اخاف الليلة من فقد سيارتي؟ لم احس الليلة ان الكهرباء اذا لم تجيء سيهاجمني اللصوص وانا كل ليلة معرضة لما هو اقسى من اللصوص والقتل ، وهل بقي هنا غيرهم . شهور كاملـــة وانا انتظر هذا المجهـــــول المرعب . لا . . . لا انـــه ليس الموت فقط . هناك ما هـــــو اقسى من الموت . هناك الهجوم على البيت ، هناك التعرض للاهانات. المسلحون يتجولون حارسين سارقين . من الحارس؟ ومن السارق ؟

وعدت ادير ابرة الترانزستور استمع الى الاخبار واخاف ان تفرغ البطاريات . منذ ايام وانا انتظـــــر ، وافتش واسأل وابحث عن البطاريات حتى حصلت عليها ، فهل افرغهـــا في انتظار سماع اخبار الكهرباء التي ربما . . . ربما لن تأتي .

الساعة التاسعة الا ربعا . مرت ساعة وثلاثة اربـــــاع الساعة على الموعد المنتظر لمجيء الكهرباء ولم تأت . انهـــــا ليلة كبقية الليالي . هل ايأس ؟ هل انتظر ؟ . تعبت مـــــن الانتظار الكاذب السارق القاتل ، ولغباوتي صدقت الخبـــــر وانتظرت الكهرباء ، ولم استجد نفطا ، ولم اغسل زجاجـــات القناديل المغطاة بطبقة سوداء من الهباب . النفط عـــادة لا يبعث كل هذا الهباب الاسود . كان ذاك يوم لم يكن يخلـــط النفط الابيض بالاسود ، ماذا بقي من الايام البيضاء تلـــك . لا اظن ان النفط سيبقى نقيا ابيضا مضيئا .

هل تلوث كل شيء ، واسود كل مفهوم ، واظلم كل شيء؟ كل شيء ؟ كل شيء ؟

فجأة اضيء البيت . نعم هكذا وبكل بساطة سطع الضوء

في كل غرفة وكل حمام وكل ممر . كنت واقفة في احد الاركان . رفعت رأسي اتطلع واتأكد واستوثق ان ما اراه حقيقة .

انها الحقيقة الجميلة الرائعة . الكهرباء تضيء المصباح المعلق من السقف .

كادت دموعي تهبط فرحا حين سمعت خبطات قوية تضرب الباب ، واحد الجيران يصرخ : جاءت الكهرباء جاءت الكهرباء .

لم استطع التحرك . كان رأسي معلقا الى فوق . سمعت الجار يقول نسيت ان اضرب جرس الباب الكهربائي .

ولا ادري اذا كنت قد فتحت الباب ام اني سمعت صوته من وراء الباب المغلق . ؟

ماذا يريد الجار من ندائه ذاك . ليتركني اتأمل الكهرباء . اتصبب على المصباح الكهربائي الذي اضيء بعد عتمة طويلة .

هبطت قذيفة قرب البناية . سمعت صوت الزجاج ينهمر ، ولم اتحرك من مكاني . رقبتي مشدودة الى فوق . عيناي تحدقان في المصباح الضاحك يقول : لقد عدت . لقد جئت . اني هنا .

خفت ان انزل عيني عن مصباحي الحبيب لارى متى دخلت الكهرباء . خفت ان احول عيني عنه الى الساعة لارى لم تأخر . المهم انه وصل بعد طول انتظار . المهم انه جاء بعد يأس من المجيء المهم انه هنا .

من البناية المجاورة ارتفع صوت التلفزيون . هل اذهب الى تلفزيوني اديره ؟ واترك معشوقي ؟ اخاف ان ينطفىء اذا تركت التطلع اليه بوفاء ووله وخشوع .

الحبيب المعشوق ، النديم الصديق عاد ، فكيف اتركه ، كيف لا اصلي اليه ؟

احسست الما في عنقي . مددت يدي اتلمس مكان الالم ، واذا برقبتي كلها لا تزال مرتفعة تتطلع الى المصباح الضاحك .

حركت عضلات خدي . اريد مبادلته الضحك وفجأة تسمرت العضلات ولم تكمل طريقها الى الابتسامة . لقد انطفأ المصباح سكت . مات . توقف عن الحياة .

تلمست الجدران ومررت خلال الابواب وعثرت يدي على علبة كبريت .

من نور عودها كانت الساعة تشير الى الحادية عشرة .

هذا ليس موعد انتهاء مرور الكهرباء علينا . سرقوا منا ساعات في البدء ، واكثر من ساعة في النهاية .

واحسست العرق يتساقط من رأسي الى قدمي كمن فارق حبيبا عزيزا دون ان ينتظر الموت المفارق .

هرعت الى الحنفية اديرها . اريد سكب الماء البارد على وجهي ، وعنقي ، ولكن الحنفية خاوية .

وتذكرت . لم يكن موعد زيارة الكهرباء يتفق وزيارة الماء فلم يلتقيـــا .

وبقنوط جديد وصلت غرفتي اتأمل السقف الذي لا ارى ، والحيطان التي لا ابصر ، والنوافذ المغلقة على العتمة .
غازلت حبيبتي الكهرباء ، ونسيت ساعة اللقاء ، كل ما كنت

قد اعددت من أعمال بيتية للقائها . الغرفة ليست معتمة تماما ! هناك ضوء يأتي من النوافذ الخشبية ! خيوط ضوء رفيعة ناصعة !

هل انقطعت الكهرباء عندي وحدي ؟ هل اصاب شرائط بيتي خلل ؟

هذا ضوء لا شك فيه ، يتسلل من ثقوب النافذة الخشبية. من سارق الكهرباء من الجيران ؟

من هم الاذكياء الذين اناموا ضميرهم وسرقوا الكهرباء . شريط مدوه الى عمود الشارع وتركوا هم الانتظار ، وخوف الفراق وفجيعة الذهاب .

كانت القذائف تتزايد والصواريخ تعلو . فتحت النافذة الخشبية ووقفت ذاهلة . القمر بدر ساطع يضيء الدنيا الميتة .

قمر ! قمر ! أهناك قمر ! منذ متى يبزغ القمر ؟

متىكان هلالا ؟ كم مرة صار بدرا والنوافذ الخشبية تغلقه عنا خشية الرصاص المتطاير .

في اي شهر نحن ؟ كم شهر مر ؟ وكم قمر جاء وذهب ، وانا لا ادري ؟

تركت الشباك الخشبي مفتوحا ، واختلط ضوء القمر بضوء القذائف والصواريخ . ارتميت على الفراش مستسلمة وفجأة سمعت صوتي يصيح : كيف توصلوا الى القمر وسرقوه ؟

المستقبل

دفعت ثمن الفستان بسرعة وهي ليست متأكـدة ابدا ان مقياس الفستان يناسبها ولكنها متأكدة انه من قماش سميك يصلح للربيع أو الخريف ، والان كما تظن منتصف الصيف ، قد يكون هناك خريف قادم او ربيع قادم ولكن اتراه سيأتي ؟ سيأتي ربيع او خريف ؟ الربيع والخريف الماضيان لم يمرا . توقف الزمن عندهما كما توقف مع فصول السنة الاربعة ، عدا القتال الذي لم يتوقف فاغتال كل دقيقة وكل همسة وكـــل خلجة وكل ... وكل ... اخفت الفستان بسرعة في الكيس لا تريد ان تعترف لنفسها انها اقترفت جريمة بشراء فستان والحرب المقتالة تسطو على كل شيء . سنتان باسابيعهما وشهورهما ؟؟ لا ... لا ... لم تعد تحسن تركيز افكارها ، لم تعد تدري كيف تحسب عدد الاسابيع في هذه الشهـــور الكثيرة ولا عدد الايام ولا الدقائق ولا الثواني وهي ... هي ... هي مثل كل الناس تنتظر وينتظرون لحظة بعد لحظـــة خبرا ... خبرا غير مفجع جدا اي خبر لا يتحدث عن الخراب الكبير والظلمة العميقة ...

اشترت الفستان من المنزل الذي يقع لصق بيتها . لم تعبر شارعا ولم تنزل درجا . الباب المقابل لباب بيتها صاحبته تبيع ثيابـــا .

لم تعد المخازن تفتح للبيع والشراء وحين فكرت في شـــراء فستان احست ان الزفت سيرمى عليها وعلى بيتها ، الزفت الحارق اللاهب الذي كان يرمى على بيـــوت المدنسات ، ليعرف كل من يمر هناك ... في ذاك الطريق ، ان هذا البيت

المرمي عليه الزفت تسكنه امرأة لحقتها لعنة الثائرين على الفضيلة فكانوا يجزون شعرها ويحرقون بيتها و . . . وتلمست شعرها بيدها وامسكت الكيس الذي يخفي الفستان باليد الثانية .

الفستان خريفي والان صيف . ومن لم يمت بعد وهو حبيس بيته جبار او محظوظ او جبان لم يلحق به رصاص قناص او قذيفة صاروخ ضال ، عشوائي ، او متقصد ، ولم يخطفه حاجز ولم يذبحه دين . . . ماذا تتذكر من اساليب الموت القديمة والحديثة التي عرفها والتي لم يعرفها الناس خلال القرون الماضية من حياة البشر ؟

تشتري فستانا وهي كانت دقائق تفكر كيف يمكن تأمين الخبز لايام قليلة آتية ؟. اذا اتت الايام هل يكفيها ما لديها من وقود للانارة والطبخ . . . هل سيأتي الليل وهي لا تعتصر جوعا لاكل ؟ تشتري فستانا ومئات وآلاف لا يجدون سقفا يأوون تحته ؟ ومئات يتمنون لقمة خبز ومئات اخرون مرمية جثثهم يأكلها موت فوق موت ؟

لبنان يحتضر وكل اخبار الاذاعات العالمية والصحافة تبدأ اخبارها عن القتال في لبنان والكل يحاول تشخيص المرض والكل يعرفه ولكن لا دواء لهذا المرض المزمن .

لو احتفظت ببعض هذه النقود ، أما كان افضل لها من شراء فستان ؟ لو ابقت هذه النقود في حقيبتها ؟ في خزانتها ؟ او لو علقت الفستان في الخزانة اتراها واثقة من الاحتفاظ بواحد منهم ، والبيت كله معرض للنهب بحوائجه ونقوده واصحابه ، فما الفرق بين اقتناء فستان او الاحتفاظ بثمنه ؟ وكل شيء

معرض للنهب ؟ هذا الفستان الذي اشترته من أين حصلت عليه البائعة ؟ كيف جاءت هذه الفساتين المعلقة المعروضة للبيع ؟ كيف استوردت ؟ كيف اشتريت ؟ وهؤلاء الذين باعوا الفساتين هل اشتروها ؟ هل استوردوها ؟ هل خاطوها ؟ اخبار سرقة المحلات التجارية والبنوك والمؤسسات والبيوت تملأ الاذن طنينا .

مسلحون يقاتلون في سبيل قضية وطنية ويموتون فرحين بالاستشهاد . ومسلحون اخرون يقاتلون للسرقة ، اين مكان المسلحين الاولين ؟ واين مكان الاخرين ؟ ومن سرق الاخر ؟ ومن منهما حافظ على ممتلكات غير المسلحين ؟ المقاتلون يسمحون لانفسهم بسرقة ونهب الاماكن والارواح فأين هو الفريق المسلح المدافع عن القضية الوطنية وهو يرى الفريق المسلح الناهب السالب ؟

اليست قضية وطنية الا ينهب الوطن ؟ اليست قضية وطنية ألا تسلب من الفرد ممتلكاته كما تسلب منه روحه ؟

فستانها الذي اشترته بدراهمها حصلت عليه من عرق جبينها . فستانها الذي لبسته ليس عارا عليها شراؤه .

وغيرها ... غيرها هو من يستحق ان يرمى عليه الزفت الحار اللاهب الحارق وعلى بيته ليعرف كل من يمر قرب ذاك البيت ، ان العار الحقيقي يجب حرقه والاعلان عنه . تركت يدها تفرش كيس الفستان . لم يعد مكورا تريد رؤية احد تخبره انها اشترت فستانا من بيت تبيع صاحبته ثيابا غير مسروقة وثمنه غير مسروق ، تريد ان تصرخ باعلى صوتها لم اسرق .. لم اسرق .. لم ولن اسرق .. وسأرتدي الفستان في ربيع او خريف آت .

آت ؟ هي لا تنتظر شيئا .. هي لا تدري في اي فصل تمــر ولم التفكير في الفصول وانتظار الدقيقة لحظة واحدة قد تكون النهاية ... النهاية .. الموت .

لو بقي لها لحظة واحدة الا تكفي لان تستمتع بها وتنفس بها عن غيظها وتشتري فستانا بثمن غير مسروق من محل غــير سارق ؟ ما هم أن تلبس الفستان او لا تلبسه المهم انهـــا استمتعت بلحظة شرائه ، تحتفظ بنقودها للمستقبل ؟ هل هناك مستقبل ؟ شمس الصباح هل ستطلع عليها ؟

تريد الاحساس باستمرارية الحياة تريد الاحساس برغبة التملك تريد الاعداد لايام آتية . هكذا فجأة تحس انهـــا تريـــد العيش وتعد للمستقبل ، للخريف او الربيع . فستانا جديدا ترتديه ، تريد ان تحس انها لن تموت في اية لحظـــة آتيـــة . أهذه تبريرات تقولها لنفسها لتمحو عن مشاعرها الحس بالعار ؟ شراء فستان جديد والناس يموتون جوعا والقذائف والصواريخ تنهال على كل جانب ؟ الموت ينتظرهـــا عند كـــل زاوية وهي تمسك بالفستان بقوة كأنما تشبثها به تشبث بالحيـــاة .

لبنان يموت ويستغيث والعالم كله ... كله هنا بشكل او بآخر يغمد خنجرا جديدا ... يدس سما جديدا ... حادا

يدفن بعمق أبعد . يصم اذنيه بشمع جديد ، يمد اصبعا يسرق . يرسل مؤونة تضيع باخرتها ، وفوده تبيع الحقيقة أو لا تعلنها يعدون .. ينفذون .. يصدقون .. يكذبون ..

كل هذا يحدث في لبنان وهي ... هي ... تشتري فستانا لخريف تدري انه ليس بآت ؟

قالت بائعة الثياب انها اضطرت للبيع في بيتها بعد ان توقف زوجها وأولادها عن العمل فلجأت الى هذه الطريقة لكسب العيش . حتى البائعة تحاول تبرير عرض فساتين للبيـــع خوفا من الجوع . وهي تشتري فستانا لخريف لن يأتي . ايدفع عنها الجوع ؟ ايمكنه ابعاد القناص عنها والصاروخ او القذيفة او المتفجرة ؟ أيمكن ان يكون بديلا للظلام الذي تخاف ؟ أو لاغيا لكل ما في الخريف وقبله الصيف من انتظار مرعب؟ طوت الكيس كيلا يبدو حجمه كبيرا ملفتا . اعادت طيه فقلصت حجمه علها تنسى انها تحمل في الكيس فستانا خاصا بها .

مرت سيارة مقاتلين ... اطلقت الرصاص ارهابـــا فلم تخف .

اعتادت الرصاص والقنابل والمتفجرات والصواريخ والظلام ... ولم تعتد على أي منها . انها لم تمت بعد مع كل عـــدد الموتى والجرحى والمشوهين الذين رأتهم وسمعت عنهم او لـــم تسمع عنهم ولكن ... أيحق لها ان تشتري فستانا بحجـــة انها لم تمت بعد ؟ وهل تستطيع ان تحتفظ به ؟ هل سيبقـــى بيتها دون ان ينهب ؟ هل تستطيع الوصول الى طبيب او يصلها الطبيب اذا مرضت ؟ اذا جرحت ؟ اذا اصيبت ؟ هـــل يسمح لها حاجز المسلحين ان تشرح لهم انها قد تموت اذا لم تصل الى المستشفى ؟ والمقاتلون ؟ ماذا تعني لهم كلمة الموت بعد مرور الموت عليهم في كل لحظة وساعة وايام واسابيع وشهور هاتين السنتين ؟ هذا الفرد ما اهميته اذا زاد عـــدد الموتى عشرات او مئات او الاف المرات او بقي حيا ؟ ومتى كان للفرد الحي اهمية في نظـــر المقاتلين المعرضين للموت في كل لحظـــة ؟

المقاتلون المعرضون للموت هناك متراس قد يحميهم ، هناك سلاح قد يدافعون به عن انفسهم هناك ..

اسلحة ومقاتلون وقادة وزعماء ورؤساء واحزاب واتبــاع وتنظيمات تتقارب وتتباعد ، تتعاضد وتتخاصم ، تتشاتـــم وتتمادح وهي ... هي هذا الفرد الواحد مثل آلاف الافراد الذين لا ينتمون الى اي من هؤلاء كيف تدفع عنها الرعب مــن اللحظة من الساعة من اليوم ؟ من ذكريات الايام الماضية ؟

اليوم التالي اتراه آتيا ؟ هل سيطلع صباح جديد وشمس جديدة بعد ليل طويل مظلم مضاء بالصواريخ ؟ وهي ؟ هــي اشترت فستانا لخريف ؟ اي فصل هذا الذي يسمونه خريفا ؟ قالت البائعة انه يصلح للربيع والخريف- فأي الفصلين هو الاقرب ؟ وأيهما ستحس ايامه وتراها بطبيعتها الحقيقية والدنيا غير مغلقة حولها وكذلك البيت والسماء ؟

سقطت قذيفة على مدخل البناية لم تخف لم تفزع لم تهرب وقفت جامدة تتأمل الزجاج المنهار وتسمع صراخ الخائفين . من أين جاءتها هذه البطولة ؟ أهو المستقبل تمسك به في كيس تخبئه تحت ابطها ؟ هرع سكان البناية الى الملجأ ، وقفت على مدخل الدرج تتأملهم يتراكضون يصرخون ، حاملين صغارهم ولا تدري من اكثرهم رعبا الصغار ام الكبار . من منهم سيعيش لدقيقة آتية ومن منهم ينتظره الموت ؟ وهي ... هي تحسست الفستان . نفسها حزينة حتى الموت لا تجد مبررا لاقتنـــاء فستان جديد .

القذائف تتزايد وتضرب الحيطان والنوافذ فتثقبها . نزلت الدرج المعتم تتمسك بحاجزه وصلت باب الملجأ . لا تدري مــا يشدها الى الوقوف وعدم الركض الى اعماقه مــع الاخرين .

تحسست الفستان فاطمأنت ولكن من يشرح لها في هذه

اللحظة لم اشترت الفستان الخريفي الجديد ؟ واذا رآه احدهم فكيف تفسر له اطمئنانها لحملها فستانها الربيعي الجديد ؟

نزلت قذيفة جديدة تلتها صواريخ وازداد الصراخ والعويل فشدت بيدها على كيس الفستان ، دخل المقاتلون باب البناية يرتدون ثياب الميدان . لحاهم طويلة وكذلك ذقونهم وعلى اكتافهم انواع الاسلحة . هرع مسلح اليها يصرخ ويزعق فيها : ادخلي الملجأ الا تسمعين ؟ الا ترين ؟ لم أنت جامدة هكذا ؟ الملجأ هو المكان الوحيد الذي يقيكم الموت . ورفع الكلاشينكوف ضاربا في الهواء طلقات فازداد الرعب وصعد اليها الصراخ فاستمر جمودها وزاد غضب المقاتل . اقترب منها صارخا فيها : انزلي قلت لك اهبطي الى الملجأ ماذا تفعلين هنا ، تحركي ما هذا الذي تمسكين به بهذه الشدة ؟ وتخافين عليه ؟ اعطني اياه وانزلي . فازداد تمسكها بالكيس بالفستان الخريفي ــ الربيعي ولم تجب وعاد الصراخ وعاد هو يزعق فيها ويلعلع رصاصه ، حدق فيها بعينين غاضبتين واقترب منها فصرخت فيه : هذا مستقبلي هذا خريفي هذا ربيعي احتضنته واقسى ما اخشاه ان تسطــو عليــه .

في دوامة الحب والكراهية

فرشت الصحف حواليها وامامها .. بأيها تبدأ .. الكـــل كاذب .. الكل مستفز . أين الحقيقة ؟ أين الخبر الصادق ؟ هل تؤجل القراءة ؟ ما نفعها وهي الملزمة بمعرفة مـــا تقوله الصحافـــة .

رفعت راسها تتأمل السقف .. ولكنها وجدت نفسها تقرأ العناوين . لا بأس ستكتفي بقراءة العناوين :ـــ

(خبر منقول عن احدى الاذاعات)

لا تدري من أين يأتي مراسلوها بهذه الاخبار . من امزجتهم ؟ ام من ولائهم العشائري ؟.

تكره الاذاعات ونشراتها الاخبارية وتكره مراسليها واكثر ما تكره صوت المذيعين . صوتهم الحقود يكاد ينفجر بالنباح .

تكره الندب الزاعق وتكره الحقد الحارق .

(صورة لمقاتلين يقفون على الدوشكا وقفة منتصر)، وهم غير منتصرين . أطفال يظنون المستقبل لهم والمـــوت يتربص لصدورهم البريئة المملوءة أملا .

هؤلاء الانقياء ، اذا لم يموتوا بكل انواع الموت الذي عرفه لبنان ، ماتوا من خيبة عدم تحقيق آمال كانوا يخبؤونها فـــي

صدورهم الطرية . هل هي طرية ؟ ابقيت نقية ؟

تكره خيبات الامل وتكره الموت الجسدي والنفسي .

(حديث للمسؤول عن المياه والكهرباء)

كان الماء يصل صباحا كل يوم مرة . يزدحم الدرج المظلم وتنفتح الابواب ، ويتصارخ الجيران ويتشاتمون وهم أقرب الاصدقاء الى بعضهم البعض .

الحاجة الى نقطة ماء ، احالت كل المحبة الى كراهية وشك وخوف وعداء . كم تكره ساعة وصول الماء .

(صور لأرصفة الشوارع مملوءة مواد للبيع ، مواد للاكل ، ومفروشات ، وادوات مطبخ ، ومساحيق تجميل وعطور و ... و ...)

كل هذه الاشياء التي كانت تحبها وتبحث عنها .. تكرهها .. تكرهها ، انها مسروقة من أصحابها الذين يحبونها .

(اعلانات عن بواخر ستغادر لبنان) .

بواخر شحن قديمة ، مهترئة ، تحتضر . انتهز أصحابها فرصة فزع الناس فأعلنوا انها بواخر ركاب فيها مآكل وفيها غرف وفيها مراحيض . ويعين الاعلان موعد اقلاع الباخرة المزعومة وموعد وصولها الى الاسكندرية او قبرص .

يكذبون ! يكذبون ! ليس في الباخرة اي من هذا المعلن عنه ، والباخرة معرضة الىملاحقة الزوارق الاسرائيلية ...والباخرة معرضة للجنوح الى هناك ، والى اذلال ركابها واهانتهم ، أو قد يتساقطون في البحر لشدة الازدحام ، او ينشفون عطشا ويموتون جوعا .

تكره البواخر الكاذبة وتكره الهجرة من لبنان . اما

المهاجرون فتتألم لهم لانها تدري وهي الباقية ، ما المفجع في البقـــاء او عكسه .

تكرههم لانهم يهجرون وطنهم في محنته الكبرى وتكره نفسها لانها تكرههم حين لا تتبرر او تبرر اعذارهم .

(صور لبنان الماضي ، رخائه ، هدوئه .. سلامه ...)

كل هذه المزايا الظاهرة كانت تخبيء قلقا يغلي وحربـــا معلنة صامتة .

تكره الماضي الكاذب وتكره اكثر منه الحاضر الصادق .

(وفود من كل انحاء العالم ، تأتي ، تحاول حل مشـاكـل لبنان . تتجول في البلد ، تقابل هذا الطرف ، تقابل ذاك ، تصدر بيانات مشتركة او من طرف واحد) .

يذهب الوفد ويزداد القتال احتداما . تكره البيانات ، وتكره الوفود الواعدة الكاذبة .

(باخرة ستصل ، تنقل محروقات .. تنقل اغذية .. تنقل مواد طبية .. تنقل ...)

وتمر الايام فلا يصل شيء ، ضاعت الباخرة بمحتوياتها . تكره البواخر التي لا تصل وتكره سارقي مواد الباخرة الواصلة .

(رصيف شارع آخر تغطيه السجاير والخمور)

تصرخ في الصورة : ـــ امنعوا السجاير .. امنعوا الخمور .

دعوا الناس يواجهون واقعهم .. وتتلفت حولها .. هـــل سمعها أحد ؟ ماذا يفعل الناس لو واجهوا واقعهم ؟ يزداد غيظهم ، تزداد شراستهم ؟

تكره السجاير والخمور المخدرة التي تخفف من الموت غيظا.

(صور للمهجرين الجائعين العراة، بلا سقوف، يعيشون على الصدقات) .

هذا اذا وصلتهم من زعمائهم ، ولانها لا تصلهم لا يجــدون غير السرقة واحتلال بيوت الاخرين لاستمرار العيش .

تكره العيش على السرقة وتجد العذر للسارق الجائع ... ولكن السارقين هم غير الجائعين !!

(صور لزعماء شيوخ وقورين مجربين) .

ماذا يقول هؤلاء المسنون المخرفون ؟ ماضيهم مات فلم يسرقون مستقبل الشبان ؟ .

تكره فيهم ظنهم ان الدنيا لا تعيش بدونهم .. تكره .. تكره حكمة الشيوخ المحنطين المستهلكين اعمارهم واعمار الاخرين.

(احدى المستشفيات تعلن عن عدد المصابين الذيـــن استقبلتهم) .

جارها ، فترة انقطاع الكهرباء ، سأل مستشفى بعــض الثلج يوقف به نزيفا اصاب شقيقه . جارها استعمل الثلــج لشرب الوسكي مبردا . رأت الكأس بيده مملوءا دما . أبصرته يشرب دماء لبـــنان النازف .

تكره الثلج الذي يبرد الخمر بدل تبريد الدماء .

(صورة القادة والرؤساء والمسؤولين يتبادلون القبل) .

كل يمسك خنجرا يتمنى لو يغمده في احشاء محتضنه اللدود، كم تكره القبل السامة .

صحيفة تقول (تسرب الينا ان فلانا من المسؤولين قابل خصما سياسيا له ولكن المسؤول ينفي نبأ هذه المقابلة) .

الكل يخاف الكل ، يقول كلاما يرضي سامعه ويقول عكسه لسامع اخر ولا يستطيع نزع القناع حتى لو كان وحده يخاف نفسه ان تغشه فتفشي حقيقته .

تكره الاقنعة وتكره النطق الاخرس .

دفعت الصحف ثانية .. تحس بالاختناق ، انها تغرق في مستنقع الكراهية ، لا تريد .. لا تريد الخضوع لسجن الحقد فكيف تتخلص ؟ كيف تنجو منهما ؟ كيف ؟

ومن بوسعه ان يرجع الى نفسها صفاء المحبة ؟ ـــ مـــن ؟.

(غدا)

بعد بضعة امتار من عبورها الشارع انفجرت عبوة . لم تدر رأسها لترى الاثار . لم يعد في قلبها امكانية لرؤية جثة متناثرة أو دماء تسيل أو مبنى ينهار . وكذلك لم تسرع في سيرها فمن يدري لعلها لو اسرعت لوصلت الى متفجرة اخرى قد تتخطاها لو تباطأت . ولم تتباطأ فلعل التباطوء يقذف عليها رصاصة قناص ساعده التباطوء في تصويب الهدف .

لم تكن تحمل شيئا ففي سنوات الحرب هذه خزنت اثقالا من الطعام والحاجيات ثم اكتشفت ان لا شيء من كل هذا يبعد الموت عنها .

لن تموت من الجوع ولا من العري فلم خزن المؤن والثياب والحاجيات .

البيت مملوء اثاثا صارت تخاف عليه من السرقة ، من الاحتلال من التفجير . لو تركته فارغا ؟ هل كان هذا يبعد عنها شبح الخوف عليه ؟

ليلتها كانت في زيارة لجيرانها في البيت المقابل لشقتها وسمعت لغطا سرعان ما استحال الى صراخ وشتائم ولعلعة رصاص . ركض الجميع وهي منهم ، فاذا بوفد من حاملي السلاح يحاولون كسر باب شقتها او خلعه لا فرق عندهم ما دامت النتيجة واحدة هي محاولة الدخول الى البيت .

كان البواب يقسم لهم ان البيت مشغول وحين رآها بكى فرحا صارخا يطلب منها امداده بالمفتاح ليؤكد لمحاولي الاحتلال ان البيت مسكون . وبكل بساطة ناولته المفتاح لم تخف المسلحين . لم تهلع من البنادق والذخيرة المزنرة بها خصورهم، ولم ترتعب من نظراتهم .

اسرع البواب يفتح الباب ودخل المسلحون بكل فخر

واعتزاز يحاولون تكذيب كلام البواب .

دخلوا المطبخ وسمعوا ازيز الثلاجة ففتحوها وكان فيها ما تيسر من الطعام دخلوا الشرفات شاهدوا غسيلا منشورا .

كان الماء لا يزال يقطر من بعض الصحون المعلقة على سلة الصحون .

رأوا كل هذا ولم يقتنعوا . جالوا في غرف البيت وبـــدأ الاستنطاق :

ـــ كم فرد في البيت . أجاب احد الجيران مسرعا : خمسة

ـــ أين هم : أجاب اخر : ـــ يزورون الجيران في البناية المجاورة .

نظروا اليها وعيونهم يملؤها شك الكرة الارضية وتبادلـــوا التحديق .

لم تقل شيئا مع انها احست بحاجة كبيرة للدفاع عن حق الاحتفاظ ببيتها .

لو يعلمون ؟ لو يعلمون كم تعبت وكم أرقت ! وكم تلهفت وكم فرحت ! وكم سعدت ! وكم جازفت ! وكم جاهدت لتفرش بيتها . وكم . . . وكم . . . كانت معتزة فرحة به ، والان عليها ان تقدم الدليل ان هذا البيت هو بيتها حقيقة . لم يبق غير ان يطلبوا منها هويتها ليتأكدوا ان الصورة الملصقة عليها لها هي نفسها ساكنة هذا البيت .

هرع عدد اخر من الجيران كل يحمل مسدسا او بندقية .

لم تكن تدري ان جيرانها يملكون كل هذا العتاد . لم يقل لها

احد انه يستطيع ان يدافع عنها اذا اصابتها ازمة او هاجمهـــا احـــد .

وفجأة أحست بفرح طاغ،حولها كل هؤلاء المحبين،وهي . . هي كانت تحس بالخوف وتحس بالوحدة ؟

ولكن وجود المسلحين حولها اعاد الرعب اليها .

وقفت ووقف المسلحون ، ووقف الجيران .

الكل ينظر الى الاخر . وفجأة رفع احد المسلحين بندقيـــة واطلق رصاصة من النافذة . هرب الفرح معها وجمد الجميع .

خرج مطلق الرصاص يلحقه بقية المسلحين غير فاشلين .

التف حولها الاصدقاء يطمئنونها : انت اختنا ، نحن اخوانك، نحن اهلك ، لم يخلق بعد من يستطيع الاساءة اليك و . . . و . . .

لم تعد تصغي اليهم . كانت تقول لنفسها، صحيح ان البيت لم يحتل . . صحيح انه لم ينهب . انا لا ازال فيه ! صحيـــح اني لم اشوه . . صحيح اني لم أمت . . صحيح . . صحيح . .

لم يحدث لي شيء ، ولكن من يضمن لي ان كل هذا او ان ايا من هذا لن يحدث غدا ؟ ! .

الدليل

كانت تريد الاتصال هاتفيا بخارج لبنان ، فأدارت الارقام التي تتذكر ولكن الخط لم يعلق وسمعت خشة تقوى فتنتظـر متأملة ان تسمع صوت الرنين ثم تخفت الخشة فتيأس وتضع السماعة ... وتنتظر وتعود الى الحالة نفسها .. انتظار ويأس ويأس وانتظار . واخيرا لا تدري كيف سمعت اذناها صوت رنين الهاتف هناك فامسكت بالورقة المسجل عليها الرقم الذي تريد طلبه .

ورن الهاتف هناك .. ورن ورن وانتظرت اكثر من خمس دقائق ولا من مجيب وفيما هي تسمع الرنين ، وفيما هي تنتظر تذكرت . لقد تغير كل شيء في لبنان ، تغير فيه كل شيء ، لعل الرقم الذي يوصلها بالنداء الخارجي قد تبدل ؟

أغلقت السماعة وعادت تدير ارقام الاستعلامات ، ومـا حصل قبلا عاد يحدث مرة اخرى خشخشة وصمت ، وانتظار و .. ويأس .

فكرت لو تسأل احدا لعله يساعدها في ايجاد طريقة لطلب هذه المخابرة الخارجية . ادارت رقما معينا . رن الهاتف هناك ولكنه لم يجب . رقما اخر كان صامتا . وهكذا توالى الصمت وتوالى الرنين الذي لا يجيب واحيانا كان الصوت دليـل انشغـال .

كانت تدري ان بعض الارقام لا يمكن الاتصال بها فلـم تحاول هذا ولكن الاخرين المتأكدة من وجودهم كيف تتصل بهم؟

وعادت الى المحاولات ... السماعة بيدها واصابعها تدير

ارقاما واذنهـا تسمع الاصوات المختلفة أولا تسمع دليـل الهاتف .. دليل هاتف لبنان موضوع تحت المنضدة ، فيمكانه المعهود المعروف منذ سنوات في متناول اليد تحت آلة الهاتف تمامـا .

قلبته .. مرت على الاسماء فيه صفحة بعد صفحة واسما بعد اسم . بعض الاسماء مات اصحابها ، هذا خطف ولـم يظهر له أثر وذاك وجدت جثته مشوهة .

السماعة لا تزال بيدها واليد الاخرى تدير ارقاما لا تجيب. اسماء اخرى أمامها عنوانهـا أصبح خرابـا . مناطـق بكاملها هدمت والركام يملأها فلا يمكن المرور فيها حتى في حالة توقف القتال القصيرة المتعددة المؤلمة .

شوارع اخرى لا يزال القناصون هم المسيطرون عليها. طبعا تركها اصحابهـا .

قرأت اسما وابتسمت . العنوان الذي امام الاسم يجب ان يكون قد تغير فالاسم لمسؤول متنفذ صار زعيما لم يعد لائقا ان يسكن في مكانه السابق .

اسماء اخرى كانت لامعة زاد لمعانها ولكن خارج لبنان .

صارت الصحافة الاجنبية تتحدث عنها كمظهر من مظاهـر حيوية اللبناني ونشاطه الذي لا يوقفه امر حتى لو كان حربـا اهليـة فتاكـة .

واغرتها فكرة البحث عن الهاربين .

بدأت تمر بسرعة على الاسماء هذا الاسم استقر في باريس وذاك في لندن وثالث في اميركا واخر قرأت انه بدا يمـول مشروعا كبيرا في احدى الاقطار العربية .

مطرب سمعت له اغنية قبل ايام ولكن من اين ؟

الفنانون كلهم اين هم ؟ توزعوا على بلدان العالم يتغنون من هناك بجمال لبنان ومحبتهم الشديدة لــه وهم يرقصون مبتهجين .

وتذكرت .. عاد قسم كبير منهم في فترة الهدنة الطويلة نسبيا متحدثين عن قلقهم على الوطن وحبهم له والمرارة التي عاشوها في المهجر واقسموا .. اقسموا انهم لــن يغادروا الوطن مهما حدث له .

وعادت الاحداث .. وعاد هؤلاء يهربون الى البعيد يتغنون من هناك بكل شيء عدا عما يحدث في لبنان .

يغنون للحب الذي مات وللاشواق التي اختنقت ولهجر وصد الحبيب الذي لا يعرفون مصيره ، يعتبون عليه وهم لا يدرون مصيره ، امات مذبوحا تعذيبا بالعصي ، هل عثر على جثته ام انها ضاعت مع اكوام الجثث المجهولة الهوية ؟

ادارت رقما جديدا وكان كذلك مشغولا او هكذا بــدا . اغلقت الهاتف وعادت تدير الارقام نفسها فكانت مشغولة ايضا مع من يتحدث صاحب الرقم ؟

هل هذه زيارة هاتفية ؟ أم خراب هاتف او بيت ، ام الهاتف والبيت واصحابه جميعا ؟

كم من محب اراد الاطمئنان على محبوبه هاتفيا ولــم يستطع ، هل اقلقه هذا كثيرا ؟ هل استمر في محاولات الاتصال ام أتعبه الانتظار فاستطاع بواسطة هاتف يعمل الوصول الى

محبوب جديد استبدله بالاسم الاصيل .

فجأة سمعت السماعة تسأل : — من المتكلم ؟ اي رقم تطلبون ؟ كان الصوت ساخطا غاضبا ، ذكرت له الرقم الذي ارادته . قال الصوت من الطرف الثاني : نعم انه الرقم ولكننا نسكن البيت لحمايته ، نحن اصدقاء اصحابه الذين تركوا بيتهم لمنطقة اخرى ... فاغلقت السماعة قبل ان تسمع بقية الكلام .

أصبح اللبنانيون يهاجرون داخليا ايضا من منطقة الى اخرى تنسجم مع ميولهم السياسية او الدينية .

وتذكرت صديقة تعرف تماما ميولها السياسية كانت تسكن منطقة لا تنسجم مع هذه الميول ، ادارت بسرعة رقم هاتفها فأجابها صوت غريب ، سألت عن الصديقة فتلعثم الصوت ثم سألها : — اي رقم تطلبين ؟ سألته : — ما رقمك انت ؟ أجاب بنفاذ صبر : — صلح هاتفنا اليوم فأي رقم تريدين .. وعرفت .. عرفت ان هاتف صديقتها سرق . والسارقون يريدون معرفة رقم هاتفهم الذي سحبوه من تحت الارض واوصلوه الى بيتهم ويريدون الان من يخبرهم عن رقمه ليكون رقمهم الخاص الجديد .

أجابت : — اسأل من سرق لك خط الهاتف فكان يجب ان يكمل سرقته باعطائك الرقم قبل ان تدفع له الثمن ، وغضب الصوت الثاني من جوابها وصرخ : لم ادفع له شيئا هذا من حقي .. هذا حقنا خطوط الهاتف معروضة للجميع فلم يستأثر بها البعض . واستغربت ، الم يخجل من اعلانه عن السرقة كان يتحدث بغضب متبجح فوضعت السماعة لا تريد الاسهام في مساعدة السارقين .

تعجب اذ يسرقون خطوط الهاتف ؟ بعد ان سرقوا البيوت

والوطن وقضاياه والارواح !!

الاسم الـذي أمامهـا لصحفي تعرفـه تمامـا شيع قبـل فتـرة بعـد مقتلـه تشييعـا مهيبـا وتحدثت الصحف عن الشهيد الذي عمل طويلا لاجل القضية وتذكرت .. تذكرت كيف كان هذا الصحفي منبوذا لانه كان يعمل في صحيفة ذات خط سياسي اخر وكانت تعرف تماما ان لقمـة العيش هي التي اجبرته على العمل في تلك الصحيفة وطالمـا شكا لها ما يعانيه من جو العمل الذي لا ينسجم وما في نفسه من صدق واخلاص ثم .. ثم اتيح له ان ينتقل للعمل في صحيفة تتلاءم وما في نفسه وبعد بضعة ايام قتل وشيع شهيدا. تليت في تأبينه كلمات تشيد بوطنيته ووعيه وتضحياته : انه يستحق كل ما قيل فيه ، كل ما قيل عنه في تأبينه صحيح ، ولكن ، لو كان هذا الشهيد قد بقي وهو بحسه هذا وامانيه هذه في الصحيفة الاولى ماذا كان سيقول من أبنه ؟ كيف كان سيشيع ؟ هل كان اعتبر شهيدا ؟

خريطة شوارع بيروت وازقتها تثمن مقياس الوطنية لـدى الناس ، والقلوب ، وما فيها ضائع .

ادارت رقما .. أي رقم خطر في ذهنها اجابها صـوت هادىء . نعم سألت : ــ بيت من هذا ؟ وانقلب الهـدوء المؤدب الى سخط كاد يمزق طبلة اذنها : ــ هذا مقر عمل . تسألين عن بيوت ؟ تضيعين الوقت على الاصدقاء والدنيـا تشتعل ؟ تتسلين ... وضعت السماعة وقد تصلبت اصابعها وفي اذنيها نعيق .

من في مكان من ؟ من صاحب الحق ؟ من السالب ؟ مـن

المسلوب ؟ من القاتل ومن القتيل ؟ لم تعد تستطيع قراءة الارقام ولم تعد اصابعها قادرة على تقليب الصفحات .

الصوت الساخط الغاضب الذي كاد يمزق طبلة اذنها هزها وذكرها لو احتاج مريض طبيبا لو احتاج مستشفى فكيف يتصل وهل هناك من ينجـد ؟

قلبت بأصابعها المتجمدة اوراق الدليل الى صفحة الاطبـاء قرات بسرعة الاسماء ، معظمهم ليسوا هنا . ليسوا في لبنان تركوا الوطن في محنته الكبرى .

وغير اللبنانيين الذين كانت أقصى امانيهم العمل هنا ؟ عادوا الى بلادهم اكتشفوا حسنات وطنهم بعد نكبة لبنان أهذه فضيلة للحـرب ؟

والمستشفيات ؟

هذا اغلق بعد ان تهدم . ضربوا المستشفيات بمرضاهـا وأطبائها . هل يلام الطبيب اذا ترك البلد ؟

مستشفى اخر ظل يعمل تحت الصواريخ والقذائف . هل علقوا اوسمة لاطبائه وممرضاته والعاملين فيه ؟ وهـم المعرضون للموت لانهم يحاولون انقاذ الاخرين ؟

على صفحات دليل الهاتف اعلانات .

شركات ومحلات ومؤسسات : لن تسأل عنها ولن تقـرأ العنوان ولا رقم الهاتف ولا اسماء اصحابها .

ومن الذاكرة المرهقة بدات تدير ارقاما وارقاما وحين لا يجيب الخط تدير رقما جديدا وهكذا الى آخر ، واخر ، واخر ،

الى ان سمعت صوتا يجيب . كانت قد نسيت اي رقم ادارت تسألت بلهفة .

من يتكلم
اجاب الصوت باسم شخص تعرف :

سألت بلهفة صادقة مخلصة محبة : — انت ؟ انت ؟ كنت اخشى ان لا اجدك ، كم انا سعيدة بسماع صوتك وفي لهفتها نسيت ان تذكر اسمها وحين ذكرته اذ سألها اجاب ببرود مؤدب : اشكرك . هل من خدمة اقدمها لك ؟ أجابت : — نعم . . نعم انك هنا وفي بيتك وهاتفك لم يسرق انا سعيدة بهذا :

اجابها بنفس الصوت البارد المؤدب شكرا واغلق السماعة صمت لسانها وصمتت يدها وصمت بصرها .

تذكرت ان معرفتها بهذا الشخص معرفة عابرة سطحية بسيطة ، وفجاة ابتسمت . انها سعيدة . انها حقا سعيدة .

كانت تستعمل طوال هذا الوقت هاتفها الذي لا يزال يعمل وهي بعد لم تمت وسقف بيتها الذي لم يتهدم بعد .

ولكن الالم في نفسها صعد وطفح : الاخرون الذين اصيبوا في كل هذا او بعض هذا ؟

هل بقي مكان للابتسامة او للسعادة ؟؟؟

نحن الذين نحبك

(الى الصديقة ربيعة صفدي)

الساعة الرابعة . بدأ الظلام يمتد ، بقايا الشمس تصلها من الافق الذي لا تراه ، لمعات نور تأتيها من انعكاسات زجاج نوافذ الجيران .

بدأ الغروب انذاره ، فجأة ستظلم الدنيا وتأتي ساعة الوحشة وبعدها ، بعدها انتظار خمس ساعات لتعود الكهرباء .

كانت نسيت معاناة العتمة ووحشة الظلام ، ومر نحو سنتين على عودة الكهرباء قبل انقطاعها الاخير الجديد .

والاصدقاء ! اين هم الاصدقاء الان ؟ كانوا يعجبون اذ لا تشكو من المتفجرات والقذائف والصواريخ ولكن يروعها الظلام وتتهاوى امامه .

أين الاصدقاء الان ؟ ليسألوا على الاقل نفس السؤال ؟ معظمهم ترك لبنان وسافر . لم يعودوا قادرين على تحمل حرب اخرى .

كلهم قالوا هذا في القسم الاول من الحرب ، واقسموا ، اقسمت معهم ، انهم لن يمكثوا في لبنان اذا عاد القتال ، وقالت هي . هي قالت اذا عاد الظلام .

وعاد القتال وعاد الظلام وترك الاصدقاء لبنان وبقيت هي .

كانت تقول انها مواطنة عربية غير هاربة . سجلت هذا على نفسها ولكن حين انتهت الحرب ، او هكذا خيل اليهم ،

استغربت ، هي نفسها ، كيف صبرت ؟ ولماذا بقيت ؟ ليقـــل عنها انها مواطنة هاربة ! ليقل انها هاربة ! ليقل انها هاربة ؟

عاد القتال وعاد الظلام ، واذا بها تلك المواطنة العربيـــة غير الهاربة ، غير الهاربة ! غير الهاربة !

الليلة دور منطقتها في العتمة . كان يجب ان تملأ الفوانيس بالنفط فلم تفعل . كان يجب ان تضع شموعا جديدة بـــدل تلك التي ذابت في ليالي العتمة السابقة فلم تفعل . كـــان يجب ان تعد « اللوكس » النفط والسبيرتو والابرة والشاشية وتستعد لحقنه فلم تفعل .

كانت قد اصبحت خبيرة في اعداد « اللوكس » الذي تتفوق في توليعه على اصحاب المقاهي في اعلى منطقة نائية من الجبال المحرومة من الكهرباء .

هذه الليلة لم تفعل شيئا من هذا . تعبت من كل هذا ومن غير كل هذا كثيرا . تمنت لو فعلت مثل الاخرين . لو هربت . لو كانت هاربة هاربة . . . هاربة الى اي مكان حيث الكهرباء .

ازدادت العتمة فاستندت الى الحيطان وتلمست الطاولات حتى وجدت علبة كبريت اشعلت منها عودا اوصلها الى حيث وجدت بقايا شمعة ، شمعة صغيرة تغرق في شمع كان أمس سائلا وجمد اليوم . اشعلتها كان الضوء ضعيفا .

واكتفت بهذا البصيص الضئيل وجلست على اقرب كرسي ، جلست تنتظر وهي تدري انها لا تنتظر شيئا . لم يكن هناك جديد سيحدث الا بعد خمس ساعات طوال .

تشعل مصباحا ؟ الذي امامها مكسورة زجاجته والزجاج الذي يناسب حجمه لم تجده في السوق .

عيناها نحو الشمعة الصغيرة الغارقة . لو كانت الشمعة اطول ؟ لماذا ؟ تقرأ صحيفة ؟ الصحف كلها تحدثت عن الف شيء لن يحدث منه شيء . الهدنة ستقصر ! سيعود القتال ؟ سينتصر هؤلاء ! سينتصر اولئك ! تعبت من كل هذه الحكايا . وتعبت من الظلام .

الشمعة تهتز . تنظر اليها كأنها في سباق مع الزمن ، والزمن طويل قصير .

تدير المذياع ؟ الموسيقى لا تطرب ، والغناء ترفضه اذناها ، والاخبار تزيد عتمة الظلام .

اهتزت الشمعة اكثر ، فمدت يدها تغلق النافذة فتوقف الاهتزاز وخفت الضوء .

لا بد من اشعال شمعة جديدة . مدت يدها لتستعين بشمعة او علبة كبريت ، وفجأة ماتت الشمعة الصغيرة . انطفأ ضوؤها اذ غرقت في الشمع الذائب الحار .

لم تناد احدا . لم تقل شيئا . ولم تنتظر عودة الكهرباء ، فموعدها بعيد . لم يزد الظلام ، ولكن المكان بدأ يصغر ... ويتقلص .. ويضيق . وتقترب الجدران منها . اهكذا هو الموت ؟ عتمة تامة ووحشة عميقة وفراغ كامل حتى من الهواء ؟ . لم تفكر سابقا في الموت ولكنها تحسه الان بشدة وبقوة .

تصريحات المسؤولين العالميين ما نفعها والدنيا عندها ظلام . انهم يصرحون في النور فكيف لهم ان يفهموا ان الموت بعتمته يزحف ، يزحف ويلفها وهي غير قادرة على مد يدها تضيء بصيصا اخر .

زاد ظلامها واقتربت الجدران منها اكثر فاكثر فاستكانت تنتظر ان ينغلق عليها التابوت وهي تدري انه لن يكون هناك مشيعون يهيلون على قبرها التراب .

سمعت طرقا على الباب ، خبطات على الباب ! منذ متى وهذه الضربات مستمرة ؟ لا تدري كيف ركضت حافية ! كيف وصلت الى الباب : ثم وقفت وصرخت تسأل من يطرق الباب؟ اجابها صوت انثوي ناعم : نحن .

عرفت الصوت الحنون الدافىء ففتحت الباب واذا الصديقة الانسانة تحمل مصباحا يدويا وتقول : — اسرعي ، غيري ثيابك لنذهب الى السينما انهم ينتظروننا تحت .

لم تسأل من هؤلاء الذين ينتظرون تحت . كل الذي سألت نفسها عنه أن هذه الصديقة الكريمة صعدت خمسة طوابق في هذا الظلام الخانق لتصل اليها وتخرجها من القبر .

عادت الصديقة تقول : اسرعي هيا بنا .

ارتطمت بالجدران وهي تسارع الى غرفتها ، اضاءت هناك شمعة استعانت بها على ارتداء فستان .

كانت الصديقة لا تزال واقفة في أعلى الدرج ، على الباب ، وهي نسيت حتى أن تدعوها الى الدخول ، ونزلت معها ، مع محبتها ، وضوء مصباحها اليدوي .

في السيارة الواقفة في الطريق كان بقية افراد العائلة، عائلة الصديقة بكاملها ذاهبين الى السينما ومع اكتمال العائلة ، مع ان العائلة كانت مكتملة ، تذكروها واحسوا بوحشتها ،

وجاؤوا ليأخذوها معهم .

بعد بضع مئات من سير السيارة وصلوا الى منطقة مضاءة. هنا كان البعث ، ضوء وحركة ، ناس وسيارات ، ازدحام وأصوات . لم يكن هنا اموات ، لا جثث ولا قبور .

أما الفيلم فكان عاطفيا انسانيا عميقا ليس فيه صفعة واحدة ولا طلقة رصاص ولا خوف .

حين خرجت من السينما كان عدد من المسلحين يقفون بلحاهم وشعرهم الطويل يحملون السلاح على اكتافهم.فوجئت بمنظرهم وهي الخارجة من فيلم كله محبة وحنان وعطاء .

رأت في وجوه المسلحين براءة وطفولة ، تأملتهم جيدا لم يكن عمر الواحد منهم يتجاوز الثامنة عشرة ان لم يقل عن هذا كثيرا .

وفجأة سمعت نفسها تقول لهم : — لم تحملون السلاح ؟

تطلعوا اليها بغضب غريب وخرج منهم صوت أجش كصوت الرجال الكبار : — لنقاتل .

قالت لهم بتوسل : — اذهبوا ، واحبوا ، تبادلوا العواطف الطيبة . أحبوا . أحبوا .

لم تصغ الى عيونهم الغاضبة فاستمرت : هذه سن الحب فلا تدعوها تفلت من ايديكم ستصلون الى سن تقاتلون فيها انفسكم ان لم تجدوا من تقاتلون . ارموا السلاح . عيشوا للحب ، انه الحقيقة الوحيدة الفاضلة الازلية الكبرى في الحياة.

وتركتهم مبهوتين ودخلت السيارة واحست انها ادتواجبها نحو هؤلاء الصغار المسنين .

عادت الى البيت ، الكهرباء ايضا كانت قد عادت الى

منطقتها . كبست زر المصعد فصعد بها الى الباب ، وجدت ثقب المفتاح بسهولـــة .

لم تحس انها وحدها ! لم تشعر بوحشة البيت . بقيـــت الجدران في مكانها ! السقف عال يحميها ... انها لا تحتضر !.

ليست في حاجة الى مشيعين يهيلون التراب على قبرها .

جاءها من يحبونها واخرجوها من الكفن لحظة احست انها بدأت تدفن . وتصورت صديقتها التي طرقت الباب وصوتها الحنون يجيب : نحن الذين نحبك .

من خلف الباب المعتم ، ومن قبرها سمعت صــــوت الصديقة : نحن الذين نحبك .

نحبك ؟ هل قالت نحن ؟ ام قالت :

نحن الذين ... نحبك ! نحبك ! .

« الان صارت ملكي »

حان موعد اذاعة النشرة الاخبارية . ادارت التلفزيون .

كان بقية برنامج لا تدري ما اوله ولكن الصورة لم تشدها الى الشاشة . المهم ان تستمع الى الاخبار لعل جديدا آت . فمنذ متى وهي تنتظر هذا الجديد ؟ طوال سنوات حرب لبنان وهي تنتظر ، الى متى سيطول الانتظار ؟ وما هو الجديد؟

ظهرت على الشاشة صورة ساعة تدور عقاربها ، ومع الدورة لحن يغني اعلانا لنوع من السكاير .

بدت صورة شاب وشابة ضاحكين يركبان سيارة يناديان المشاهدين لتدخين ذلك النوع من السكاير .

مدت يدها الى الطاولة وولعت سيكارة .

كان الشابان في غاية السعادة . شعر الفتاة يطيره الهواء لينساب على كتفيها ويغطي قسما من وجه الفتى .

هل في الدنيا سعداء او غير سعداء ينطلقون في الشوارع بصورة طبيعية لا يخافون قذائف ولا متفجرات ولا صواريخ او قناص ؟

وهذان اللذان يبدوان محبين أهي عاطفة حقيقية تربط بينهما ام انهما اجادا تمثيل دوريهما ؟ هل بقيت هناك محبة ؟

لتستعجل عقارب الساعة على اكمال دورتها، ما الذي ستحلمه اخبـــار الليلة ؟

خوفا جديدا ؟ تطمينا جديدا ؟ تخديرا جديدا ؟ اكاذيب جديدة

على الشاشة كلمة الاخبار مع موسيقاها المعهودة التـــي اقترنت بكل الاحداث المفجعة اتراها ستحمل الليلة اخبارا افضـــل ؟

بدت صورة المذيع ببسمته الوديعة المؤدبة فتفاءلت . ليته يحمل اخبارا مطمئنة .

بدأ باخبار لبنان فتحدث ، وهو لا يزال يحاول رسم البسمة المطمئنة ، عن بعض حوادث اخلال بالامن حدثت هنا وهناك، في مناطق متفرقة شملت معظم انحاء لبنان . متفجرات وهجوم بالدبابات وقنص ورد على الحوادث .

هذا الذي حدث اليوم وظنته نهارا هادئا أو هكذا خيل اليهـــا كم بيت شرد اصحابه ؟ لم تكن قد سمعت اصوات ولا اخبار كل هذا الذي حدث اليوم وظنته نهارا هادئا او هكذا خيل اليها ؟ ولكن الاخرين ؟ الاخرون المنكوبون ما احساسهم الان ؟

سحبت الوسادة من خلفها وانزلت قدميهـــا . خجلت ان تجلس جلسة مريحة في بيتها وهناك .. هناك من لم يعـــد لهم بيت ولا يعرفون مصيرهم او مصير احبائهم .

على الشاشة صورة لفيضانات ساحقة تغمر البيوت بالمياه والناس يركبون زوارق هاربين من بيوتهم الغارقة بالسيول .

هناك يهربون خوفا من غضب الطبيعة ، وفي لبنان يتركون بيوتهم هربا من القتال .

ما اتعس ما يكون الخلاص بامكانية الهرب من البيت .

طفل يبكي نسيه اهله في زحمة الهرب . كيف استطاع المصور ان يلتقط صورة هذا الطفل دون ان يحاول انقاذه .

فضل مهنته على تخليص هذا الصغير العاجز من الغرق .

تبقى الطبيعة اقل قسوة من البشر .

يظهر انها شردت عن تتبع الاخبار لان الصورة التاليـــة كانت لمتظاهرين . لا تدري اين . تلاحقهم الشرطة بسلاحهـا وهم يقتلعون حجارة الجدران والرصيف ليردوا على الشرطة .

يقتلعون الحجارة ؟ هنا .. هنا لا حاجة لهذا الجهد . الكل مسلح . سلاح الجيوش يملكه افراد والشرطة هي التي تخاف المتظاهرين .

كل المتظاهرين شبان في سن الفوران والمغامرة لا يهمهـــم الرصاص ولا القتال . هذا هو العمر الحقيقي للبدء .

كل رجال الثورات بدأوا هكذا متظاهرين يطاردهم القانون وواحد منهم صار يحكم البلد. خيط رفيع جدا كان الحد الفاصل بين موته بتهمة الخيانة او صعوده الى كرسي الرئاسة .

كيف يعامل الظافر المتظاهرين الان ضده بعد توليه الحكم؟ هل يتذكر اول عهده برفض الحكم السابق ؟ هل انساه الكرسي العدل الذي كان يطالب به !

وهذا الحبل الغليظ هل سيشنق به احد ؟

يقول المذيع الاخر بوجه صارم عبوس : عثرت السلطات على جثة المخطوف بعد ان دفعت اسرته ثمن الفدية لان الاسرة اخبرت الشرطة عن مكان اللقاء بطالبي الفدية .

كيف احس المخطوف ؟ هل كان يتوقع النجاة ؟ اتراهـــم عذبوه كثيرا قبل القتل ؟ ماذا تقول اسرته وقد فقدته مــــع

انها دفعت الثمن المطلوب لبقائه حيا ؟

المخطوف عاد ؟ المخطوف يعود ؟؟؟ وفي لبنان صارت قاعدة الا يعود المخطوفون . فكلمة اختطاف مرادفة للموت . الامل مات .. الانتظار مات . كم تمنى اهل المخطوف لو طلبت منهم فدية ؟ لو دفعوا ارواحهم فداء من يحبون ؟

ماذا تفعل اسرة المخطوف ؟ ماذا تفعل زوجته ؟ أولاده ؟ هل ينتحرون حزنا هنا ، ندما هناك ؟ ام ان الحياة بجبروتها هي دائما أقوى من الموت ؟

خارطة افريقيا على الشاشة ، مشاكل جديدة في احـــد اقسام القارة . هؤلاء الزنوج الذين لا زلنا نسميهم عبيدا ، كأنما العبودية هي جنسيتهم الحقيقية كيف انفجروا بهذه (القوة) ؟

هذه القارة السوداء صارت محط اهتمام الدول الكبرى . الكل يحاول جذب قسم اليه . الصراع الدولي على اشده هنا ، وبالامس كانوا يباعون ويشترون كالسلع . اتراهـم تحرروا حقيقة ؟

وهنا في لبنان الناس ليسوا زنوجا ولكنهم عبيد ... عبيد فاشستية الحرية .

على الشاشة صور ايد تحسب اوراقا مالية . قيمة بعض العملات على هذه الارض تهبط على حساب صعود غيرها . وبورصة الامم تتلاعب بتكتيك يعمل لحسابها .

اسعار العملات العالمية ما علاقته بلبنان ؟ أهو الـذي يتلاعب بمصيره ؟ ام ان هذه الاوراق هي قدره ؟

وصاحب الاصابع ، هل يفرح بما بين يديه ؟ ام انه مجرد آلة حاسبة تحسب الاوراق لفرزهـا لغيره ، وغيره لغيره ،

وتندلع النيران مشعلة ليس اوراق النقد .

يبتسم المذيع قائلا انه يترك وقتا للاعلان .

اعلان عن خطوط نقل جوية .. والمسافرون من لبنان . لماذا يهربون ؟ تمتعا برحلة ، لملاقاة احبة . هل سيجدون بديلا لبلدهم .

ما اتعسهم ان يضطروا الى الهرب من الوطن ما ...

المضيفة الانيقة تساعد احدى الراكبات على حمل طفلها . الى أين تسافر السيدة ؟ ولم هي وحدها ، وهذا الطفل اهو مهاجر ام عائد ؟ والمضيفة كم من اطفال للاخرين تحمل ، وكم تقدم من صواني طعام ؟ وكم تحاول اراحة المسافرين ، وحين تنتهي السفرة ويذهب كل في طريق تعود لتلاقي اخرين . ما هي مشاكل المضيفة ؟ وما هي مشاكل المسافرين ؟

أتراهم يستعجلون انهاء الرحلة ام انهم يتمنون لو انها لا تنتهي ؟

لو انهم لا يصلون ؟ هل هناك من يتمنى ان يحدث للطائرة حادث فتكون هذه وسيلة مجبرة على الانتحار الذي يبحثون عنه ؟

ليتها تغمض عينيها ولا تحدق في الشاشة كفاها اختناقا في هموم لبـــنان .

الخبر الآخر صورة جماهير غفيرة تحمل تمثالا بحجم عمـــارة مصنوع على صورة كاريكاتورية . يصرخ الجمهور ويهتف بلغة لا تفهمها ويسحبون التمثال صابين عليه تنكات مـــن النفط . يولعونه بالنار . صاحب هذا التمثال الذي كان ولا شك رمزا قائما في احد الميادين . كيف تحولت عواطف الجماهير

عنه الى حد تشويهه الى تمثال مسخ يحرق .

هل يستحق هذه النهاية ؟ هل كان يستحق امجاده السابقة؟
وفي لبنان كم تمثالا بقي ؟

دمروا ! خربوا ! قتلوا ! نكلوا ! شوهوا ! شردوا ! عذبوا ! احرقوا ! و ... وخلقوا اصناما جديدة .

عارضات الازياء اللواتي ظهرن على الشاشة يرتدين اخر صرعات الازياء . الكاميرا تدور بين متفرجين ومتفرجات . ما الفصل الان ؟ مالهم يعرضون ازياء الصيف ؟ السنا في فصل الشتاء ؟ يقولون ان هذا ما أعد للصيف القادم !

الصيف القادم ! يضمنون ان يعيشوا الى ذاك الفصل ؟ يضمنون يوما قادما ! ساعة قادمة ! نسيت .. نسيت انهم ليسوا في لبنان .

هؤلاء المتفرجون والمتفرجات لديهم الوقت الكافي والمال الفائض لتضييعه على التفرج على الازياء الجديدة . وفي لبنان آلاف من المشردين والجائعين ؟

والعارضة ما نصيبها من كل هذا ؟ تحاول اظهار جمال الفستان بكل مفاتنها الطبيعية والاصطناعية . أهذا هو كل دورها في الحياة ؟ ارتداء ثياب لترتديها الاخريات . توفر عليهن وقت تجربة الفستان . والرجال ... الرجال لماذا جاءوا ؟ ليشتروا للنساء ؟ كانوا يشترون النساء ، في الماضي ، في زمن الرقيق ، مباشرة فصاروا يشترون لهن الثياب بعد تطور اسلوب البيع . كله واحد . الرجال يدفعون والنساء سيستسلمن .

القسم الخير من الاخبار مخصص لعالم الرياضة . فرقة فازت واخرى خسرت . تقدم الخاسرون والرابحون يتصافحون .

هذه تقاليد الروح الرياضية . هل يمكن ان تنتهي احـداث لبنان بهذه القبل وهذا العناق والمصافحة ؟ وهل كانت مباراة لتنتهي هكذا ؟

المذيعة ترتدي اليوم فستانا جديدا لكنه لا يناسبها . امـا تسريحة شعرها المستعار فجعلتها تبدو افضل شكلا .

لا تستطيع المذيعة تغيير ما حولها ، لا تستطيع المذيعـة تغيير مادة الاخبار . فلم تحسن غير تغيير مظهرها الخارجي .. متى نصبح قادرين على تطوير الاعماق وتغيرها ... متى ؟... متى ؟... متى ؟...

البرنامج الذي سيتلو الاخبار فيلم تتذكر انها شاهدته منذ سنوات خارجي قبل ابتداء الحرب في لبنان .. تذكر نهايته تماما حين تموت البطلة ويحملها حبيبها غير آبه لوجود زوجهـا ويأخذها الى الشرفة مطلا على الاماكن التي كان فيها الحبيبان السابقان يلتقيان . ينتهي الفيلم ، والبطل يقول بصوت واهن حزين : الان صارت ملكي .

وتذكر يومها كم بكت كم ذرفت دموعا اغرقت مناديل .

كانت ترعى مادة الافلام شركة سجاير اخرى .

تذكرت هي سيكارتها بـين اصابعهـا فلتر مطفـأ . السيكارة احترقت ورمادها يتناثر على يدها وعلى فستانها .. والكرسي .. والارض .. وكل ما حواليها .

مدت اصابعها تتحسس خديها لم يكن عليهما دموع ولا اثار دموع ولكنها احست ذرات الرماد بين اهدابها . وشفاههـا تحسست طعم الرمـاد .

« اللحظة »

البيت نظيف . مرتب .. هادىء والصحف تملأ الطاولة .
امسكت بالجريدة الاولى ... تركتها ستغتسل ليصبح كل
شيء نظيفا .. مريحا هادئا مرتبا .. رتبت الصحف... دخلت
الحمام . رذاذ الماء الدافىء يغمرها . رفعت راسها تتلقى
القطرات على وجهها وتركتها تنساب وتنساب حتى لم تعد
تحس غيرانسيابها على وجهها ولا تسمع غيرخريرها ولا تنتظر
غير المزيد منها ثم ... ثم ادركت ان هذا لا يمكن ان يستمر .
اوقفت الماء والتفت بالمناشف .

ارتدت ثوبا منزليا مريحا ذا الوان زاهية .

سكبت العطر وراء اذنيها .. مشطت شعرها . تركته
ينساب على ظهرها وانحنت ترفع المناشف فارتخى شعرها
على وجهها . رفعته بيدها فعاد يرتخي عادت ترفعه وتثبته
بمشابك الشعر . لم يعد شيء يزعجها .

تمددت على الاريكة . امسكت الصحيفة الاولى قلبتها
لم يستهوها موضوع . تبدو الاخبار قديمة . تاريخ الصحيفة
تاريخ اليوم ولكن الصحيفة طبعت ليلة امس او فجر اليوم..
ترى ماذا حدث اليوم وستنشره الصحف غدا ... ماذا يحدث
الان وتعد له الصحف مكانا تنشره غدا .

هذه اخبار الامس واخبار الغد لا تعرفها ؟ لا تدريها .

الغد .. لا .. لا انها اخبار اليوم . ما يحدث اليوم مـــا يجري اليوم .. اليوم هذه الاربعة والعشرين ساعة كلها .. كلها يوم واحد . نظرت الى ساعتها انها الساعة الخامسة .

ماذا يحدث الان في الدنيا ولم يعلن عن حدوثه بعـــد ؟ ماذا ستقرأ غدا من اخبار هذا اليوم ... هذه الساعة .. هـــذه الدقيقة .. هذه اللحظة ..

رمت الصحيفة بعثرتها على الارض .

الساعة هذه .. الدقيقة هذه ... اللحظة هذه

ماذا تفعل هي في هذه اللحظة ؟ البيت نظيف ؟

انه نظيف منذ الظهر ... هادىء انه هادىء منذ اشهر .. مرتب . انتهت من ترتيبه . قبل ساعة اغتسلت ! مر على هذا نصف ساعة تعطرت ... ؟ تبخر معظمه . شعرها المعقوص! قد يعود للافلات وبامكانها عقصه ثانية .

ماذا في هذه اللحظة من جديد ... ماذا فيها من جديد .. جديد تنتظره .

لا ... لا تريد ان تنتظر سيصبح الانتظار ماضيا بعد لحظة تاليـــة .

الدقائق تمر . الساعة انتهت . ماذا احست ؟

كانت تحس انسكاب الماء عليها كانت تسمع خرير الماء . الماء توقف . خريره سكت . أنسيابه انتهى . تعود للاستحمام وللمناشف ؟ وللعطر ؟ ... وبعد ذلك ... للصحف ؟ ... اخبارها تاريخ قديم حدث امس قبل اربع وعشرين ساعة بكل دقائقها ولحظاتهـــا .

اللحظة هذه ماذا تفعل ؟ ماذا تنتظر ؟ لم تنتظر ؟ ستمر هذه اللحظة وتعقبها لحظات وساعات وايام وكلها ستصبح تاريخا قد يصبح ماضيا .

لا تريد العودة الى الماضي . لا تريد التفكير الا في الآتي . أتراه سيأتي ، اذا اتى ما نفعه .

تريد ان تعمل شيئا اللحظة . هذه اللحظة . لا لتكن هذه الدقيقة . ستتساهل هذه الساعة .

اليوم يكاد ينقضي وهي تفكر في لحظاته العابرات . لحظات عابرات ؟ كم لحظة عبرت عليها او عبرتها .
اللحظات الدقائق . الساعات . الايام ؟

مجموع الايام شهر ؟ تراكم الاشهر سنوات .

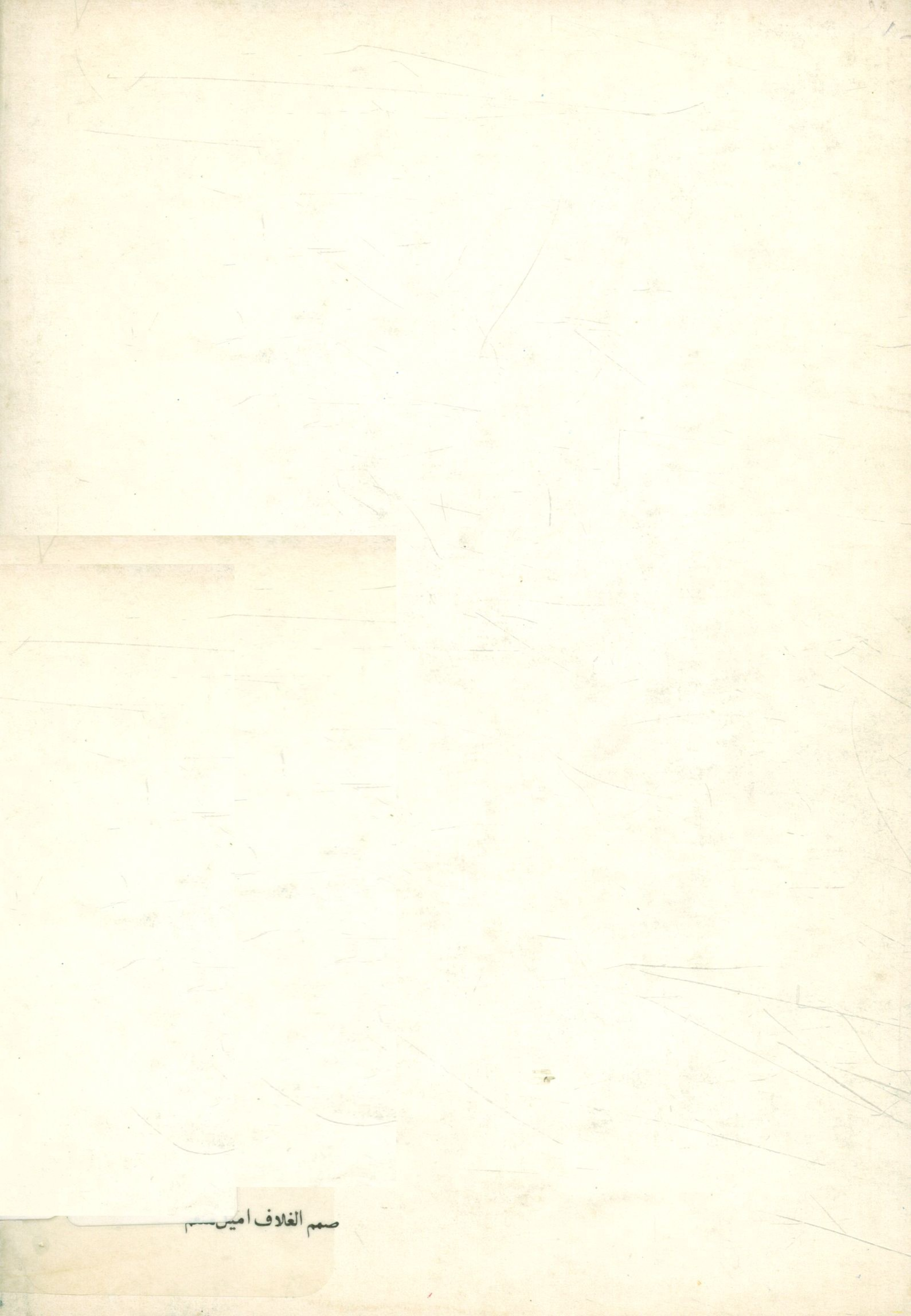
مر من العمر سنوات معدودات تعرفها . كم سيتلوها من لحظات ؟ من دقائق من اشهر ؟ من سنوات ؟

المستقبل ؟ لا تريد التفكير فيه . لا تريد مقارنته بالماضي . المهم الحاضر بدقائقه ، بلحظاته .

عادت الى الصحف تعرضها . رتبتها وامسكت الصحيفة الاولى . بدأت تقرأ العناوين . هذه هي اخبار اليوم . الساعة الدقيقة . اللحظة .

هذه هي اللحظة .

فهــرس



صمم الغلاف امين